وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية التربية الاساسية

عنوان البحث

أبو البقاء الرُّندي – حياتهُ وشعرهُ

م.د. زياد طارق لفتة / كلية التربية الاساسية / جامعة ديالى

1438هـ 2017م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من رفعت به البلاغة لواءها وشدت به الفصاحة نصابها ، وعلى اله الهادين ، وصحبه الذين شادوا الدين وسلم وبارك وبعد .

فإن الشعر الاندلسي يمثل تراثاً ادبياً رائقاً تجلى في عطاء شعراء تلك الحقبة الزمنية التي جسدت مرحلة تاريخية مهمة من مراحل ادبنا العربي العريق .

وتكمن اهمية الموضوع في انه يتناول بالتحليل والدرس شاعراً كبيراً من شعراء الاندلس بصورة عامة وقد كان الهدف من دراسة هذا الموضوع هو تقديم شعر حقبة مثلت آلام الاندلسيين مثلما مثلت افراحهم لذا فمن الاهمية بمكان دراسة هذا الشاعر العملاق الذي ترجم ومثل شعراء الاندلسيين خير تمثيل . أما عن سبب اختياري لهذا الشاعر فهو اعجابي الكبير بمدى انسيابيته في شعره ، وما تركه من نتاج ادبي مهم ، اذ كلما قرأت قصائده شدني الى شعره صدق العاطفة وبراعة الاحساس وطول النفس الذي يجعله يميل الى الاوزان الطويلة ذات المقاطع والترنيمات الشجية .

وقد اعتمدت في بحثي على جملة من المصادر والمراجع الاندلسية ومنها الاحاطة في اخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ) ونفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، للمقري التلمساني (ت 1041هـ) واما المراجع الحديثة فمنها ابو البقاء الرندي (شاعر رثاء الاندلس) ، للدكتور محمد رضوان الداية ، وقراءات في الشعر الاندلسي ، للدكتور صلاح جرار .

وبعد ان قرأت شعر الشاعر وما يحمله من قيمة واصالة ارتأيت تقسيم بحثي على النحو الاتي :

- التمهيد : تضمن نبذة من حياة الشاعر أبي البقاء الرندي .
- المبحث الاول : تضمن الاغراض الشعرية للشاعر أبي البقاء الرندي ونماذج من شعره .
- المبحث الثاني : تضمن الدراسة الفنية ويشمل ثلاثة محاور :

اولاً: اللغة الشعرية .

ثانياً: الصورة الشعرية .

ثالثاً: الموسيقى الشعرية .

- الخاتمة : تضمنت اهم نتائج البحث .
- واخيراً قائمة المصادر والمراجع .

ومن الله التوفيق

التمهيد

– نبذة من حياة الشاعر أبي البقاء الرُّندي –

اسمه وكنيته :

هو صالح بن ابي الحسن بن يزيد بن صالح بن موسى بن ابي القاسم بن علي بن شريف النغزي من اهل رندة ، ويكنى أبا الطيب .[1]

وأبو البقاء وهو مشهور في الشرق وخصوصا في هذا العصر بأبي البقاء وهو اديب وشاعر وناقد قضى معظم ايامه في مدينة رندة [2]، وقد اختلفت المصادر في كنيته فهو تارة (ابو الطيب) واخرى (ابو محمد) وكناه المغربي بابي البقاء ، ((وان شيوع كنية ابي البقاء[3] في المشرق والمغرب جاءت بعد المقري الذي ذكر تلك الكنية مرة واحدة في كتابه ويرجح ان ابا الطيب كان الاشهر في زمانه)) [4].

نسبته :

ينتسب الرندي الى قبيلة نفزة ، وهي من قبائل البربر وينتمي الى مدينة رندة وأشار الحميري في كتابه المعطار الى انها ((من مدن تاكُرنا وهي مدينة قديمة بها آثار كثيرة ، وهي على نهر ينسب اليها))[5] وكذلك نقل ابن سعيد في (المغرب) متحدث عن رندة انها احد معاقل الاندلس الممتنعة ، وقاعدها المرتفعة ، وقد كانت ايام الدولة المروانية في منطقة ثورة عمر بن حفصون ، وبقيت رندة في جملة دولة غرناطة الاسلامية الباقية الى اواخر ايامها[6] وجاء انها معقل حصين وبها زرع واسع وضرب سابغ وانها حصن بين اشبيلية ومالقة [7].

---

1 – ينظر : نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، للمقري التلمساني (486/4) . وينظر : شعراء العرب المغرب والاندلس ، يوسف عطا الطريقي ، ص 202 .

2 – ينظر : في الادب الاندلسي ، محمد رضوان الداية ، ص357 .

3 – ينظر : موسوعة شعراء الاندلس ، محمد العريس ، ص 53 .

4 – ابو البقاء الرندي ، شاعر رثاء الاندلس ، محمد رضوان الداية ، ص 35 .

5 – الروض المعطار (صفة جزيرة الاندلس) ، للحميري ، ص79 .

6 – ينظر : المغرب في حلى المغرب ، لابن سعيد ، 334/1 .

7 – ينظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، 7/3 .

مولده ووفاته :

ولد في محرم سنة احدى وست مئة وتوفي عام اربعة وثمانين وست مئة[1] والمولود في مدينة رندة بجنوب الاندلس سنة 601هـ والمتوفي سنة 684هـ[2] ويبدو ان شاعرنا قد عاش في القرن السابع الهجري وقد تفردت المخطوطة التونسية بذكر تاريخ ولادته ووفاته حيث جاء انه (ولد في محرم سنة احدى وستمائة وانه توفي سنة اربع وثمانين وستمائة[3] ولد سنة (603هـ 1204م) هو من اهل رندة الواقعة في الجزيرة الخضراء بين مالقه وشريش وتردد على قرطبة عدة مرات واقام فترة من الزمن في مالقة وتوفي سنة (684هـ –1285م) .[4]

اسرته :

لا نجد في كتب التراجم حديثاً عن اسرته واولاده ولا نعرف من اشتهر من اهله بعده غير اننا نعرف ان له ابناً يدعى ابا بكر قد توفى صغيراً (ابن 8 سنوات) وقد رثاه بأكثر من قصيدة في كتابه الوافي وقال الرندي في مقدمة قصيدة انشدها في المغرب (بر العدوة) انه يتشوق الى الاهل والوطن ولكنه لم يفصل ذكر اهله . وله قصيدة في رثاء والده ذكرها في الوافي .[5] ويبدو ان للرندي اكثر من اخ فقد ذكر لنا لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ) عند ترجمته للشاعر اخاً اسمه (خالد) .[6]

مشيخته :

---

1 – ابو البقاء الرندي ، ص37 .

2 – ينظر: قراءات في الشعر الاندلسي ، د.صلاح جرار ، ص117 .

3 – موسوعة شعراء العصر الاندلسي ، ص53 .

4 – ينظر : شعراء العرب المغرب والاندلس ، ص202 .

5 – ينظر : ابو البقاء الرندي ، ص 38 .

6 – ينظر : الاحاطة في اخبار غرناطة ، لسان الدين بن الخطيب ، 375/3 .

قال ابن عبد الملك (روى عن اباء الحسن : ابيه ، والدباج ، الفخار الريشي ، وابي الحسين بن قطرال ، وابي القاسم بن الجد التونسي) وكان صاحب الذيل والتكملة (ابن عبد الملك) ومعاصراً للرندي فاستجاره قال (وكتب الي باجازة ما رواه والفه وانشأه نظماً ونثراً).[1]

اما شيوخ الرندي فهم من اعلام العصر في فنون مختلفة فأبو الحسن الدباج كان من اهل الفضل والصلاح مقرناً وحدثاً متقدماً في العربية والاداب ويقرض قطعاً من الشعر يجيد فيها وهو توفي سنة 646هـ وابن الفخار الشريشي كان عارفاً بالحديث حافظاً للفقه والاداب وهو استقضى برندة والجزيرة الخضراء وتوفي سنة 642هـ وبقية شيوخه ممن تحدثت كتب التراجم عنهم بالعلم والفضل والتقدم ويبدو ان الرندي تلقى علومه واستكمل ثقافته في مدينة رندة حتى عرف له معاصروه فضله ومكانته .[2]

شخصيته :

تجتمع لدى الدارس من اخبار الرندي ومما يجده في كتبه صورة واضحة تقريباً لأخلاقه ودينه في عصره وعلاقاته بمعاصريه واتجاهاته ، وكانت الاوصاف التي اسبغها عليه ابن الزبير وابن عبد الملك المراكشي وابن الخطيب كافية لإعطائه صورة الأديب الفقيه الشاعر ذي المكانة المرموقة في عصره ، ففي ترجمة ابن الزبير له انه كان بالجملة معدوداً في أهل الخير وذوي الفضل والدين وقد كان الرندي ممن يستطيع ان يحسن الصلة بينه وبين هل الفكر واصحاب الدولة من الامراء والحكام والوزراء المتنفذين ومن كان في ساحتهم وساعده علمه وشاعريته على تقريبهم له واستنشادهم من شعره وهو جمع الى هذه الصفات الخلقية والطيبة ورعاً وتديناً ومراقبة تشهد بها تراجمه .[3] ومن شعره في غرض التوحيد قوله :

مابالنا نفرُّ بالأذهانِ ونغرَّها بمطالبِ البُرهانِ
ومنَ المُحالِ تصوُّرُ الإنسانِ ما منعتهُ قوةُ عالمِ الإنسانِ[4]

1 – ابو البقاء الرندي ، ص38 .
2 – ينظر : المصدر نفسه ، ص39 .
3 – ينظر : المصدر نفسه ، ص42–43 .
4 – ينظر : ديوان ابي البقاء الرندي الاندلسي ، رفعت برهام حسن ، ص62 .

وكان حافظاً للحديث وفقيهاً ومشاركاً في الحساب ، ثم كان بارعاً في منظوم الكلام ومنثوره مُجيداً في المدح والغزل خاصة والزهد والوصف .[1]

مؤلفاته :

بقيت الى أيامنا هذه مجموعة من آثار الرندي بينما نقف على اسماء مؤلفات وآثار اخرى لا ندري أفي الضائع هي مما لا رجعة له ، أم أنها في بطون الخزائن . ومن كتبه التي نعرفها او نعرف لها اسماً هي :

1- الوافي في نظم القوافي . وهو كتاب نقدي جامع منه نسخ في القاهرة والرباط وليدن وغيرها (يصدر في سلسلة دراسات اندلسية) .
2- روضة الأُنس ونزهة النفس . وهو كتاب ثقافة جامع شبيه بكتب المعارف العامة كعيون الأخبار والعقد وأشباهها ومنه نسخة ناقصة في مكتبة خاصة بالمغرب .
3- ديوان شعر وهو مفقود منه نقول مبثوثة في كتبه وفي كتب التراجم وتأريخ الادب الاندلسي وأشار ابن الزبير ان كلامه نثراً ونظماً مدون .
4- وله (مقالات) نعرف اسمها فقط وهي من المفقود .
5- كتاب الفرائض وقد شرحه الشيخ ابو الحسن علي بن محمد القرشي البسطي الشهير بالقلصادي .
6- جزء على حديث جبريل .
7- تأليف في العروض .
8- وله قصائد زُهدية وتصانيف ادبية .[2]

وقد ألف في الفرائض (تقسيم الإرث) نظماً ونثراً وله ايضاً مقامات بديعة . ومن كتبه أيضاً روضة الانس ونزهة النفس مختصر في الفرائض ، والوافي في نظم القوافي (في البلاغة والنقد)

---

1 – ينظر : تاريخ الادب العربي ، تأليف عمر فروخ ، 286/6 .

2 – ينظر : ابو البقاء الرندي ، ص47–48 .

وطبقات الشعراء وعمل الشعر وفي فنون الشعر وخصائصها المستحبة . ولكن يبدو أن الكتاب قليل الابتكار وأن غاية الرندي فيه كانت جمع الخصائص المشهورة من كتب النقد المختلفة .[1]

المبحث الاول

الاغراض الشعرية

1 – تاريخ الادب العربي، ص286 ، وينظر : شعراء العرب المغرب والاندلس ، ص202 .

كانت الحركة الشعرية في القرن السابع الهجري استمرارا لما كان في القرن السابق عليه من النشاط وغزارة الانتاج ووفرة الشعراء وعلو الطبقة واتسم الشعر بالنَّفس القوي والأُفق المشرف ، فهو لم ينحدر انحداراً مماثلاً لضعف الاحوال العامة في البلاد وكان ما يزال في الاندلس في أول القرن وبعد استقرار الامور لابن الاحمر في غرناطه من يقدر الشعر ويثيب عليه ويشجع اصحابه ، وبعد ان استقرت الامور في غرناطه وما حازوه في الاندلس في نطاقها اتخذوا لأنفسهم رسوم الملك وابهة السلطان واتخذوا الكتاب والحجاب والوزراء .[1] ولا تجد بين ايدينا من باقي شعره ما يدل على اتصاله في مرحلة شبابه الاولى ببعض الامراء من الموحدين ومدعي الخلافة ومنتحليها او ببعض الثوار والمنتزين في أرجاء الأندلس عامة او في رندة خاصة ، ويبرز الرندي في ظلال بني الاحمر شاعر بلاط مداحاً ذا صلة وثيقة بالدولة الفتية وامرائها المحبين للشعر المتطلعين الى قصائدهم فيهم واشعاره التي ينظمها في الاغراض الاخرى . وهو شاعر مكثر غزير الانتاج سهل العطاء حاضر البديهة وقد كان شعره مدونا (مجموعاً في ديوان) ولكننا لا نعرف الى الان في المكتبات المشهورة ديوان شعر له وجوانب شعره متعددة .[2]

ومن ابرز اغراضه الشعرية :

اولاً – المدح .

ثانياً – الغزل .

ثالثاً – الوصف .

رابعاً – الرثاء .

خامساً – اغراض اخرى (الحكمة والهجاء والتوحيد والشوق الى ابنائه) .

اولاً – المدح :

يبرز غرض المديح في شعره أوفره انتاجه فيه وارتباطه مدة طويلة بالبلاط النصري فهو اتصل بالامير الاول محمد بن يوسف (ت671) وبنه محمد الفقيه (ت701) فمدحها وتردد على

1 – ينظر : ابو البقاء الرندي ، ص51–52 .

2 – ينظر : المصدر نفسه ، ص53–55 .

غرناطة طويلا في عهدهما ويتناول شعر المديح عنده القيام بمهمة شاعر البلاط الذي لا يغادر مناسبة دون ان يقول فيها شعرا ملائماً .

واتصل غرض المديح بما دعاه في الوافي التهاني حين افرد له باباً مستقلاً وقد أنشد الرندي قصيدته لما بويع بالحضرة النصرية بولاية العهد الامير المعظم امير المسلمين ايده الله واقترن بذلك مولد ابنه الامير المعظم اسعده الله وقدم لها بمطلع غزلي رائق [1]، ومن المدح فيها قوله :

يا يوم سعد كأن العيدَ عاد به ... والناس في مَرَحٍ والدَّهرُ في جَذَلِ
شهدتهُ فرأينا الأرض قد بهرت ... والشمسُ قد سَتَرتْ وجهاً من الخجلِ
ويتجلى غُرةً بالبِشرِ مُشرقَةً ... كما تَجَلَّتْ إياهُ الشمسُ في الحملِ[2]

فهو يصف المشهد وصفاً تفصيلياً بين كيف احتفلت الدولة (رسمياً) بتولية الامير ولاية العهد بين اصوات الطبول المجلجلة وخفق الرايات في أيدي حامليها في عرض بديع .

وكان الشاعر يجتهد دائماً في أن تكون شخصيته الشعرية ظاهرة من خلال حسن صياغة العبارة جدة تناول المعاني والقدرة على الغوص وراء الصور المبتكرة ، فالمعاني المدحية مما لا يستغربه القارئ او يستجده دائماً ، ولكن الانتباه يلتفت الى الصياغة الجيدة والصورة الجديدة التي تعود بنا الى مدرسة الشاعر ابن خفاجة التصويرية والتعبيرية[3] وتجد الشاعر مقتدراً على الوصول الى النفس وبلوغ ما يريد تبليغه من فكرة او رأي او طلب وهو على كل حال يلحق بشعراء المديح الذين يقبلون الأُعطيات والهدايا ، وعلى الرغم من الروح التكسبية فأننا نحس بأن الأمر يعدو هذا إلى أهداف أُخرى كتثبيت المكانة عندهم والاحتفاظ بالوجاهة وإبراز الشاعرية وتشيع في قصيدته المدحية معاني المديح المألوفة في الشعر العربي بالاضافة الى الجوانب والاضافات الخاصة التي تلونها بلون اندلسي غرناطي احياناً .[4]

---

1 – ابو البقاء الرندي ، ص55–56 .

2 – الديوان ، ص41 .

3 – ينظر : ابو البقاء الرندي ، ص57–58 .

4 - ينظر : ابو البقاء الرندي ، ص59 .

وتظهر لنا القصيدة المدحية عند ابن الرندي اعجاب الممدوحين بشاعرهم وثقتهم به يقترحون عليه معارضة شعراء يعينونهم وقصائد يختارونها من الشعراء الفحول والقصائد المشهورة ، وهي تظهر في الوقت نفسه مقام الشاعر عند نفسه فكثيراً ما كان يختم قصائده بذكر شاعريته واتقان صنعته . وقد ظل غرض المدح في اغراض الشعراء الاندلسيين ومنهم شاعرنا متقدماً في القرن السابع وما بعده ولا تقل مقدرة واهمية .[1]

وقد كثر الانتاج الشعري والنثري في وصف قصر الحمراء خاصة ما انتجته قريحة شاعرنا على غرار شعراء مثل ابن الخطيب ونجد كثيراً من هذه الاشعار منقوشة على جدران القصر ، كما نجد شعار مملكة غرناطة (لا غالبَ إلا الله) منقوشاً ايضاً على جدرانه .[2]

ثانياً – الغزل :

يشغل الغزل حيزاً واسعاً في شعره فهو افرد له القصائد والمقطوعات وجعله استهلالاً لبعض الاغراض الاخرى وبخاصة منها المدح ، ونلاحظ في شعره الغزلي انه شاعر مقتدر على تناول الموضوع خبير بالمعاني الغزلية مستحضر للالفاظ المناسبة الملائمة وشعره يعطيك صدة المحب والمجرب العارف وتتعانق في العبارة الشيقة الانيقة مع المعاني اللطبفة الرقيقة وتجتمع له حرارة شعراء البداوة الشفافة الساذجة الى اناقة شعراء الحضارة الباذجة المترفة .

ولا يخفى ما في شعره من لمسات انسانية عميقة وقدرة مكينه على التغلغل الى الاعماق ويلحق بذلك ما تشهده من قدرته على تصوير المواقف سواء أطال في التعبير أم اختصر [3] فمن شعره الغزلي قوله

قطَّعَ قلبي بصدِّهِ قطعا ... وإنما ضرَّ وما انتفعا
ومرَّ عني لما شكوتُ له ... كأنه ما رأى وما سمعا
يا ليتَ قلبي الذي وهبتُ لهُ ... يَرجَعُ لي اليوم كيفما رجعا[4]

---

1 – ينظر : المصدر نفسه ، ص63–64 .
2 – ينظر : اندلسيات د.عبد الرحمن علي الحجي ، ص176.
3 – ينظر : ابو البقاء الرندي ، ص64–65 .
4 – الديوان : ص33 .

والشعر الغزلي الذي بين ايدينا من تراثه يوحي بأنه غزل يمكن ان يوصف بأنه (عام) ذلك اننا لا نجد فيه امرأة بعينها او اسما مقصوداً ولكن هذا لا يغيب الاحساس بصدق التجربة واصالة الشاعرية ولا نكاد نجد للشاعر قصيدة غزلية يخلص فيها الحديث للغزل وحده فأنه سرعان ما يخرج عن الموضوع الاصيل الى موضوعات جانبية اخرى ولكن شعرنا بأن القصد الغزلي في القصيدة مشوب بتطريزات جانبية تلطف من حرارته وتظلل نصاعته ومن هذه الموضوعات هي من نوع مشاكل كالوصف بعامته او وصف الخمرة بخاصة والمدح فهو يمزج في الغزل بين وصف المحبوبة وذكر الاشواق اليها ويستطر في حديثها الى ان يصل الى المقصود الرئيسي في الدخول الى الممدوح اما العبارة فتشيع فيها الرقة والاناقة ولا يغيب عن الاذن الموسيقى التي تلفت القصيدة وتعطيها طابعا مميزاً[1]، فمن قصائده الغزلية قوله :

عَلاني بذكرِ تلكَ الليالي وعهودٌ عهدتُها كاللآلي
يا ليالي مني سلامٌ عليها أتراها تعودُ تلك الليالي[2]

فبعد ان ذكر الشاعر لياليه الماضية واسترجع ايامه الخوالي استطرد الى مجلس ضمه مع الحبيب والتفت الى الطبيعة حوله في الارض والسماء وعلى الرغم من السلامة والتناسق بين الشكل والمضمون فان استطاع الشاعر لعدد من ضروب التنميق البلاغي والتحسين اللفظي ملاحظ واضح وقد تغلب الصنعة على بعض النصوص فتؤثر على حرارة العاطفة ولكن هذا في شعره الغزلي قليل[3] ولقد اثرت طبيعة الاندلس في قرائح الشعراء واجرت على السنتهم لغة خاصة بهم كأندلسيين وابناء لهذه البيئة فنشأ واعلى الجمال والحسن وكل ما يحيط بهم خلاب بديع فاختلطت مظاهر هذا الجمال وذلك الحسن بغزلهم فوهبوا المحبوبة ملامح الطبيعة وجعلوا جمالها من جمال المحبوب فهذا الرندي يصنف محبوبته بالروض الذي حفل بالالوان .[4]

1 – ينظر : ابو البقاء الرندي ص66–67 .
2 – الديوان : ص44
3 – ينظر : ابو البقاء الرندي ، ص68–69 .
4 – قصيدة الغزل في عصر الموحدين ، الدكتورة ايمان الجمل ،ص162 .

ذو وجنةٍ وكأنها روضةٌ قد يهرُّ الوردُ بها والبهارُ[1]

وللمقطوعات الشعرية الغزلية (موقف) خاص فهو يعبر فيها عن موقف نفسي تبلور في حيفه مخترة ولعل المقطوعة عنده اكثر قدرة على التعبير عن حقيقة مشاعره وخلجانه من مقدمات القصائد المطولة[2] كما في قوله من مقطوعة :

يا سالبَ القلبِ مني عندما رَمقا لم يُبقِ حبُّكَ لي صبراً ولا رمقاً
لا تسألِ اليومَ عمَّا كابدتْ كَبِدي ليتَ الفراقَ وليتَ الحبَّ ما خُلقا
ما باختياري ذُقتُ الحبَّ ثانيةً وإنما جارتِ الأقدارُ فاتفقا
وكنتُ في كلفي الداعي الى تلفي مثلَ الفراشِ أحبَّ النارَ فاحترقا
يا مَنْ تجلَّى الى سري فصيَّرني دكّاً وهزَّ فُؤادي عندما صُعِقا
انظر إليَّ فإن النفسَ قد تلفتْ رفقاً عليَّ إنَّ الروحَ قد رهقا[3]

ولا يخفى ما في الابيات من الموقف العاطفي العميق والتعبير الجميل الذي ابتعد عن الصنعة المفرطة وان لم يبتعد عن الاناقة والاختيار ، اضافة الى ذلك ماضي تلوين اسلوب الخطاب من تاثير في النفس وقدرة على الاقناع بالموقف ويبقى الغزل من اهم الاغراض الدالة على شاعرية الرندي وشعره في روحه وأساليبه وابداعه الفني .

ثالثاً – الوصف :

يشيع موضوع الوصف في شعر الرندي فهو يلون قصائده المطولات ويستقل بقصائد خاصة وينفرد بمقطعات غير مطولة ايضاً ولقد اهتم شاعرنا بهذا الموضوع واحله منزلة مهمة في القصيدة فهو في اثناء القصيدة يقدم اوصافاً ملائمة جارية مع نسقها او مستطردة بينما نجده في المقطعات اكثر حرية في تناول الموضوع الذي يحب وان يكون الوصف لاشياء تتصل بامور الحياة وما هو في متناول الشاعر القريب[4] اما وصف الطبيعة الاندلسية والغرناطية بخاصة فامر يشيع في شعره كله في المطولات وفي المقطعات ويتبع ذلك ما كان من وصف الازهار

---

1 – الديوان ، ص21 .
2 – ينظر : ابو البقاء الرندي ، ص69–70 .
3 – الديوان : ص37 .
4 – ينظر : ابو البقاء الرندي ، ص70 .

والثمار والخمرة والسفن والليل ويلاحظ قارئ كتابه (الوافي) ان اختيارات شاعرنا من اشعار معاصريه في وصف الطبيعة كثيرة ومنها المدرسة الخفاجية في وصف الطبيعة ومن انتشار طريقته في التصوير والتعبير .[1] فمن شعر الوصفي قوله يصف الليل وجملة امور مناسبة :

وليلةٍ نبهتْ أجفانها والفَجرُ قد فَجَّرَ نهرَ النهارْ
كأنَّها الظلماءُ مظلومةً تحكَّم الفجرُ عليها فجارْ
كأنما الشمسُ وقد اشرقَتْ وجه أبي عبد الإله استنارْ[2]

وتكثر الاوصاف في شعره لتناول صغير الاشياء وكبيرها في تلفت الشاعر المدقق الذي ينظر فيما حوله مصور مترددا بين وصف الامور التي سبق الى وصفها ومحاولة الوقوع على اشياء لم يسبق اليها . فهو يتقلب في وصف الجيش الجرار والسفينة الى وصف الطبيعة سواء في رسم المناظر العامة ام في الاكباب على الاتهامات الصغيرة المركزة كالنرجس والتفاح وغيرها .

قال في وصف السفن في البحر :

سفائنُ تَسبحُ في لُجَّةٍ كأنها صَفوانُ تَلعبُ

إذا جَرى من خلفِهِ ملحماً فلاحق لعتقه يُنسبُ[3]

والوصف من الاغراض التي تظهر فيها العملية الشعرية عند الرندي وهو يعتمد على (التشبيه) اعتماداً كبيراً ويخيل الينا انه يسرف في التشبيهات اسرافاً لاعتماده على الاستعارة بانواعها ونجد في تطلبه للمعنى الغريب وتصديه للصورة المبتكرة وفي اعادة تكوينه لبعض الصور القديمة مشابهة كثيرة تقربه الى مدرسة ابن خفاجة في المذهب الفني عامة وغرض الوص خاصة .[4] فهو يأخذ من المعاني القديمة والصور التي سبق اليها الشعراء في محاولة

---

1 – ينظر : المصدر نفسه ، ص71 .

2 – الديوان : ص22 .

3 – المصدر نفسه ، ص12 .

4 – ينظر : ابو البقاء الرندي ، ص72–73 .

تجديد مستمرة او يعتمد منهج بعض الوصافين احيانا ولا يغيب عن ذهن القارئ أن شيئاً من طريقة ابن المعتز قد تسربت الى عدد من مقطوعات شاعرنا التي زخرت فيها التشبيهات بألوان الحضارة والالفاظ المتعلقة بالترف والجواهر ولا يظهر في عرض شاعرنا (الوصف) أثر العمل والصنعة وعنصر المنافسة في الاجادة ومحاولة التفوق .[1] فقال في وصف الاقحوان :

إذا أردتَ لوصفِ الأُقحوانِ فقلْ كأنما هو ثغرٌ فيه دينـارُ
ومقلةٌ من فتيتِ البُرِّ مُحكمـةٌ لها من الفضةِ البيضاءِ أشفارُ[2]

وقال في التفاح :

تفاحةٌ كالمسكِ تفاحـةٌ يصبو لها الناظورُ والناشقُ
جرتْ بها الحمرةُ في صُفرةٍ كما التقى المعشوقُ والعاشقُ[3]

وقال في وصف الهلال :

أمَا ترى حسنَ هلالِ الآفِقِ كالتاجِ أو كالقوسِ أو كالزورقِ
أو خَطَّ نونٍ بمدادِ ذهبٍ مُترجمٍ عليه زجاجُ أزرقِ[4]

رابعاً– الرثاء :

((رثى فلان فلانا يرثيه رثيا ومثية اذا بكاه بعد موته قال فأن مدحه بعد موته قيل رثاه يرثيه ترثيه ورثيت الميت رثيا ورثاء ومرثاه ومرثيه مدحته بعد الموت وبكيته وكذلك اذا نظمت فيه شعرا)) [5] ، وشعر الرثاء عند الرندي يقسم على قسمين : القسم الاول منه خاص اسري رثى فيه من اتصل به من المتوفين من الاقارب ابه وزوجته والقسم الثاني يتعلق برثاء المدن الزائلة

---

1 – ينظر : المصدر نفسه ، ص74–75 .
2 – الديوان : ص27 .
3 – المصدر نفسه ، ص32 .
4 – المصدر نفسه ، ص38 .
5 – لسان العرب لابن منظور ، مادة (رثى) ، 100/5 .

وتتخذ قصيدة الرثاء عنده منهجاً متقاربا فهو يضمنها في العادة اربعة امور احدهما : معان حكيمة عامة في الدنيا والحياة والموت والفناء والخلود وان كل شيء هالك الا الله سبحانه وتعالى والثاني ذكر مآثر المتوفي وصور من حياته والثالث التوجع والتفجع واثر المصاب في نفس الشاعر والرابع التصبر والتعزي وما يلحق بذلك[1] وتختلف المواقف النفسية بحسب اختلاف المرثي فنجده في رثاء الاقارب حرارة اللوعة وذوب النفس ونضج العبارة عن مكونات الشاعر ومشاعره ونحس في رثائه للأمير محمد بارتفاع صوت الباكي دون ان نحس بانسكاب الدمعة وينتقل الشاعر في القصيدة الرثائية من حاضره الى ماض سابق كانت فيه للمرثي مآثر ومفاخر وهو يطيل الوقوف عند مستنجداً به لارثاء الحديث عند الحاضر .[2] فمن شعره الرثائي قوله من قصيدة يرثي بها زوجته :

يا بُرهةً كان فيها للمنى أملٌ ونزهةٌ للهوى والسمعِ والبَصَرِ
مضتْ مضيَّ الصبا عنى ولا عوض ومن يقوم مقام الشمس والقمرِ
فأن تكن زهرة من روضها قطفت فقلما تمتع الايام بالزَّهَرِ[3]

وقوله في رثاء ابنه بكر بحرارة اللوعة فهو يكرر اسم ابنه (محمد) وكنيته (ابو بكر) مما يزيد في اثر القصيدة وبعمقه كقوله :

بني أبا بكرٍ بني أبا بكرِ وماذا عسى يُغني التَّقلدُ بالذكْرِ
ذهبْتَ ذهابَ الصبرِ عن مُكرَهاً فَوَ أسفي ألا لقاءَ الى الحشْرِ
وإنْ كُنتَ نَجْماً زاغ منه أُفولُهُ فما لك لا تبدو مع الأنجم الزُّهْرِ[4]

وعنصر التسليم بقضاء الله والاذعان لمشيئته بارز دائماً في قصائده الرثائية فأنه مرتبط بشخصية الشاعر الى رثائه ، أما معاني الرثاء فتدور حول شخصية وحول ما كان من اثر عند الناس لوفاته .[5]

واما القسم الثاني من الرثاء فهو :

---

1 – ابو البقاء الرندي ص74–75 .
2 – ينظر : المصدر نفسه ص76 .
3 – الديوان : ص25 .
4 – الديوان : ص26 .
5 – ينظر : ابو البقاء الرندي ، ص78–79 .

رثاء المدن الزائلة : فقد خلق شاعرنا الرندي نونية فاقت في الشهرة قفا نبك ، ولم يعهد الناس مرثية بلغت ما بلغته من إثارة الحفائظ وارهاق العواطف ، فضلاً عن إبداع النظم واحسان السبك ، حتى انها فاقت مرثية للأديب ابي جعفر بن خاتمة اثناء سقوط غرناطة وكانت رندة قد سقطت ، اذ قال فيها :

أحقاً خبا من جوِّ رندةَ نورها وقدْ كُسفَت بعد الشموس بدورُها
وقد اظلمتْ ارجاؤها وتزلزلتْ منازلها ذات العلا وقصورُها
وكمْ طفلةٍ حسناءُ فيها مصونةً إذا اسفرتْ يسبى العقولَ سفورُها[1]

وحين اسس بنو الاحمر دولتهم في غرناطة أسرعت معظم الاسر الاندلسية اليها ، وفي ظل بني الاحمر استقرت الحياة الفكرية من جديد فاخرج الشعراء والادباء ما تخزن بها قريحتهم ، وأبدوا تعلقهم الشديد بهذه المدن ورثوها وبكوها بكاء الثكلى حين انطفأت شمس الاندلس وانطفأت الحياة الادبية والفكرية فيها وانتهى كل شيء .[2]

وفي رثاء الاندلس بقول شاعرنا قصيدة يستنصر اهل العدوة الافريقية من بني مرين لما جعل ابن الاحمر (محمد الغالب بن يوسف) اول سلاطين غرناطة يتنازل للأسبان عن عدد من المدن استرضاء لهم وأملا في أن يبقي له على حكمه المقلل على غرناطة: [3]

لكل شيءٍ اذا ما تم نقصانُ فلا يُغَرُّ بطيبِ العَيش انسانُ
هي الامور كما شاهدتها دولٌ من سرهُ زمنٌ ساءته أزمانُ
وهذه الدار لا تبقي على احدٍ ولا يدوم على حالٍ لها شأنُ
اين الملوك ذوو التيجانِ من يمنٍ واينَ منهم أكاليل وتيجانُ
اتى على الكلِّ أمرٌ لا مردَّ له حتى قضوا فكان القوم ما كانوا[4]

---

1 – ينظر القصيدة كاملة في : الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية ، الامير شكيب ارسلان ، 413/3–414 .

2 – التجديد في الادب الاندلسي ، الدكتور باقر سماكة ، ص32 .

3 – ينظر : تاريخ الادب العربي ، ص287 .

4 – الديوان : ص57 .

فأنت ترى براعة الاستهلال وجودة السبك لدى الشاعر ، الذي اتى بكل ما ازدحمت به نفسه من تقلبات الزمن وفناء الامم السابقة ، ليوظف ذلك كله من اجل رثاء الاندلس وطنه العزيز ، الذي وجده يتقلب في النعيم يوماً ، ثم وجده يهوي في مهب الريح اياما اخرى ، بعد ان عصفت به الفتن واكلت اخضره ويابسه ، وقد قرر بعض الدارسين ان ايراد شعراء لمثل هذه الاحداث في قصائدهم بانما هو من اهل التخفيف من وقع المصيبة ، والتعزي بموت السابقين وفنائهم .[1]

خامساً – اغراض أخرى :

شارك فيها مشاركة جانبية لم تكن من اصل اهتماماته كالحكمة والهجاء اما الحكمة فقد كانت ترد في شعره في اثناء الاغراض الاخرى في مناسبات الفواجع وقصائد الرثاء كرثائه لبلاده الضائعة ورثائه زوجته فان اهم مايلتفت اليه شعره الحكمي يتعلق بالحياة والموت وتفاهة الدنيا وحتمية الرجوع الى الله وسريان حكم الموت على كل حي .

اذا كان أمرُ الله للمرءِ طالباً فقدْ هادَ مطلوبٌ وقد عَزَّ طالبُ

ألا إنما الدنيا خيالٌ وأهلها بها عرض والدهر بالكل لاعِبُ[2]

وحكمته دائما مستخلصة من عبر الحياة واكثرها يصدر عنه في مجال الموت والفناء والخراب وتتضح عن نفس مؤمنة بالقناعة الدينية وهو بعيد جداً عن اية معان فلسفية غريبة . اما الهجاء فله ابيات قليلة اوردها في معرض حديثه عن غرض الهجاء لا تجعله من اهل هذا الباب وانما هي المناسبة العارضة او المشاركة في الدعابة العابثة ولم نعرف في ترجمته واخباره ما يدل على خصومات او عداوات بل غلب على صورته لدينا الفضل والاناة ورجاحة العقل .[3]
ومن هجائه اورده لنفسه قوله :

تزلزلتْ الارضُ زلزالها فقلتُ لسكانها ما لها ؟

---

1 – ينظر : قراءات في الشعر الاندلسي ، ص118–119 .
2 – الديوان : ص15 .
3 – ينظر : ابو البقاء الرندي ، ص81–82 .

فقالوا أتانا أبو عامرٍ فأخرجت الأرضُ اثقالها[1]

اما في التوحيد فقوله :

أشارَ اليكَ جميعُ الوجودِ بأنك اوجدته من عدمْ

وقام بأمرك من غير شيء ولولاك يا سيدي لم يقمْ[2]

واما في الشوق الى ابنائه ، فقوله :

وخلفتُ خلفي صِغاراً لهم قلوب يطير بهنَّ الوَجَلْ

كأني بهم يرقُبونَ الإياب ظماء القلوب رُواءُ المُقلْ

ويا بشراهم أنْ قضى الله أنْ يقولَ البشيرُ أبوكم وصلْ[3]

ومن بديع نظمه التي تدل عل خفة روحه وذكائه أبيات تقرأ طولاً كما تقرأ عرضاً :

تراه لماذا تولى تراهُ

تولى فؤادي الى ان براهُ

تراه سواه براه هواهُ[4]

المبحث الثاني

الدراسة الفنية

اجمع النقاد بأن اللغة هي اداة الشاعر فمن خلالها يقوم بتشكيل معجمه الخاص مرتبطاً بتجاربه ورؤيته للحياة ، وبذلك تبرز لنا طاقات اللغة وتتوسع دلالاتها ومفاهيمها وكما قيل بان اللغة كنز الشاعر ومصدر شاعريته ووحيه وابو البقاء الرندي في معجمه اللغوي الشعري يختار

---

1 – الديوان : ص31 .

2 – المصدر نفسه ، ص46 .

3 – المصدر نفسه ، ص50 .

4 – الديوان ، ص54 .

الالفاظ السهلة السيرة ذات الدلالة المفهومة وعند البحث في معجمع وجدت انه استخدم الفاظاً شاعت في شعره ومنها (الفاظ الحزن والفاظ الطبيعة) وهذه الالفاظ التي استخدمها الشاعر للتعبير عن شاعريته في جميع الاغراض الشعرية قد كونت صورة بلاغية فنية رائعة في شعر الشاعر تستحق الدراسة والبحث والتأمل لان الصورة الشعرية البلاغية والفنية هي من ادوات الشاعر المعبرة عن المشاعر والافكار فهي الجوهر الثابت والدائم في الشعر والموسيقية الشعرية يستعين بها الشاعر لأنها تجعله اكثر تأثيراً في النفس والتصاقاً بالذهن وهي عنصر مهم في الشعر فيها يستطيع الشاعر ان يعبر عن الاحاسيس واحببت ان اسلط الضوء على لغة الشاعر والصورة الشعرية والموسيقى الشعرية بنوعيه الداخلية وتشمل الوزن والقافية والخارجية وتشمل التكرار والطباق والجناس ورد العجز على الصدر .

اولاً : اللغة الشعرية

هي اداة الشاعر في التعبير عن معانيه مختلفة عما هو موجود في الفنون الاخرى وعليها يتوقف نجاح الشاعر او تفوقه على غيره من الشعراء وعليه ان يختار فيتحرى الجميل المناسب والانيق الحسن[1] واللغة الشعرية هي ليست اللغة المباشرة التي يتداولها الناس فيما بينهم انما هي لون جديد يعمل الشاعر على نسجه من خلال رؤيته الذاتية وادائه العالي في تشكيله لكونها اولى مكونات الاسلوب لدى الشاعر فكلما كان الشاعر ذا لغة عالية كان عمله الادبي اكثر ثراء وتنوعاً فعن طريقتها تتفجر طاقات الشعر وامكاناته الدلالية ومن هنا جاء ارتباط الشعراء بلغتهم ارتباطاً قوياً لما تتضمنه هذه اللغة من ايحاءات ودلالات وما تحمله من خيال ورؤى فنية جمالية تفصح لنا من خلالها عن ذاته وطرائق تعبيرهم ونظرتهم للوجود ولما كانت القصيدة بناء لفظياً يباشره الشاعر من جهتي المعنى والتركيب وجب ان يكون حاذقاً في تعامله مع اللفظ مما يؤدي الى استقلال كل دلالاته واللفظ يشكل المادة الاساسية في بناء القصيدة فهو الذي يرفد القصيدة بالصورة الشعرية المتعددة وكذلك يمنحها الايقاع والحركة .[2]

وان اختيار هذا اللفظ او ذاك ليس بالامر السهل وانما تأتي دوافع التجربة الشعورية عن الشاعر فالشاعر بمقدوره ان يجعل لغته عالية رصينة معبر بصدق عما يجول في خاطره من

1 – ينظر : لغة الشعر بين جيلين د. ابراهيم السامرائي ، ص8 .

2 – ينظر : لغة الشعر بين جيلين ، ص10 .

مشاهد وتجارب او يجعلها لغة ركيكة لا ترضي الحد الادنى من المتلقين وهذا يرتبط بلا شك بثقافة الشاعر اللغوية وقدرته على تطويع الالفاظ تطويعا يناسب الغرض والمناسبة والموقف النفسي الذي هو عليه ولغة الرندي يجتمع في طياتها الرقة والعذوبة وسلاسة الطبع ، وهذا ناتج عن تأثير بيئة الاندلس بظلالها الوارفة وجمال طبيعتها مما طبعه كغيره من الشعراء على اللين والرقة في الفاظهم كما في لغة الغزل والحنين الى الديار اذ يحاول فيها بث عواطفه الجياشة وما يختلج في نفسه من احاسيس ويلجأ الى محاورة قلوب عشاقه ومخاطبة سلطان الغرام مما يجعله ينجح نحو تزويق الفاظه وتنميقاً للسيطرة على هذه القلوب[1]ويقول فيها :

بعيني شكواي الغرامِ وتيهه الى أن تثني عطفَهُ فانثنى عطفا

فعانقتُهُ شوقاً وقبلتهُ هوًى ولا قبلتهُ تكفي ولا لوعةٌ تُطفا[2]

ونلاحظ ان شاعرنا يميل الى الجزالة والرصانة والاستعانة بالمفردات المعجمية لكي يعطي الالفاظ القوة ويكسبها رونقاً وجمالاً من ذلك قوله يمدح احد الامراء :

وملءُ العينِ منكَ جلالُ مولًى صنائعُهُ كفرَتُهُ وسامُ

إذا ما قيلَ في يدهِ غمامٌ فقدْ بخِستْ وقد خُدِعَ الغمامُ

وحشوُ الدرعِ أروعُ غالبي يُراعُ بذكرهِ الجيشُ اللُّهامُ[3]

فالالفاظ (غرته وغمام وحشو الدرع) كلها الفاظ تمتاز بالجزالة والقوة وهي تدل دلالة واضحة على كرم الممدوح وشجاعته وسطوته ويستخدم الشاعر قسماً من الفاظ الحزن في شعره بهدف اثارة عواطف المسلمين لانقاذ ما يمكن انقاذه من ديار الاهل والاحبة وهذا ما يظهر حرصه وحبه لوطنه يقول في رثاء الاندلس :

---

1 – ينظر : ابو البقاء الرندي ، ص93 .

2 – الديوان : ص36 .

3 – الديوان ، ص53 .

أعندكم نبأٌ منْ أهلِ أندلسٍ فقد سرى بحديثِ القومِ رُكبانُ

كم يستغيثُ بنو المستضعفين وهم أسرى وقتلى فما يهتزُّ أنسانُ[1]

ثانياً : الصورة الشعرية

تعد الصورة الشعرية من اهم ادوات الشاعر المعبرة عن المشاعر والافكار فهي الجوهر الثابت والدائم في الشعر وهي ليست مفهوماً حديثاً فقد عرفها النقاد العرب قديماً ومنهم الجاحظ (ت255هـ) اذ اشار بقوله : (انما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير) ويعرفها احد النقاد المحدثين بأنها (رسم قوامه الكلمات المشحونة بالاحساس والعاطفة) فالصورة عنصر مهم من عناصر بناء القصيدة ذات الوظيفة الشعرية التي تجسد الشاعر واحاسيسه فهي (الوسيلة الفنية والجوهرية لنقل التجربة) واصبحت تمثل وسيلة الاديب في التعبير عن عالمه الخيالي بمختلف مصادره الخيالية والواقعية والعقلية لذا لجا اليها الشعراء ليعبروا بها عن تجاربهم الشعورية بأمانه ودقة وهناك عناصر لصورة الشعرية يجب ان تتوفر فيها لتحظى بقبول المتلقي واستحسانه مثل التخييل والعاطفة وغيرها من العناصر الاخرى[2] واستخدم شاعرنا كثيراً من الاساليب البلاغية في شعره وقد اخذ نماذج منها وهي (التشبيه – الاستعارة – الكناية) .

وقبل الدخول في شعر الشاعر اعطي نبذة مختصرة عن التشبيه وما يتصل به كفن من انواع الفنون الادبية . و**التشبيه** من اقدم صور البيان واعتمد عليه الشعر العربي قديماً وقد حظى باهتمام البلاغيين القدامى لكثرة استعماله في الكلام . فقد عرف الخطيب القزويني (ت739هـ) فقال : هو ((الدلالة على مشاركة امر لآخر في معنى))[3] اما المحدثون فقد عرفه السيد احمد الهاشمي بقوله (عقد مماثلة بين امرين او اكثر قصد اشتراكهما في صفة او اكثر بأداة لغرض يقصده المتكلم)[4] وقد حظى هذا الفن البياني عند ابي البقاء الرندي بمكان الذروة في بناء الصورة الشعرية وارى ان ميل الشاعر الى هذا الفن متأت من المزايا المهمة التي يحملها هذا

---

1 – المصدر نفسه ، ص59 .

2 – ينظر : كتاب الحيوان ، للجاحظ ، 132/3 .

3 – الايضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، ص233 .

4 جواهر البلاغة ، السيد احمد الهاشمي ، ص219 .

الاسلوب ونلاحظ ان التشبيهات التي استخدمها شاعرنا جاءت بعد عرض الصورة الواقعية ومنها قوله :

يا رُبَّ أمٍّ وطفْلِ حيْلَ بينـهما كما تَفَرَّقُ أرواحٌ وأبدانُ

وطَفلةٍ ما رأتها الشمسُ إذ برزتْ كأنما هي ياقوتٌ ومرجانُ[1]

فقد جاء التشبيه في قوله (كما تفرق ارواح وابدان) بعد عرض الصورة الواقعية للام التي انتزع طفلها منها مع ان التشبيه تضمن معنى يفوق المعنى الوارد في الصورة الحقيقية ونرى ان اداة التشبيه وهي الكاف والمشبه به ابدان وكذلك في قوله (كأنما هي ياقوت ومرجان) بعد ان عرض الصورة الحقيقية الواقعية للفتاة ونرى ان اداة التشبيه (كأن) والمشبه (ياقوت) والمشبه بيه (مرجان) .[2]

اما **الاستعارة** فهي من وسائل البيان العربي المعروفة وتقف مع التشبيه في التصوير الادبي مع انها اكثر منها تخيلا وهي من اهم وسائل تشكيل الصورة الشعرية وقد اعتمدها الشعر العربي قديماً في اضفاء الجودة والرصانة وقد حظيت بالرعاية والاهتمام لذا عرفها النقاد العرب قديماً ومنهم ابن المعتز بقوله (استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها عن شيء عرف بها) اما الاصلاح الحديث (استعمال اللفظ في غير ما وضع له العلاقة المشابهة بين المعنى المنقول والمعنى المستعمل فيه مع (قرينة) صارفة عن ارادة المعنى الاصلي[3] وعن المحدثين (لفظ اريد به غير معناه الذي وضع له مع جوتز ارادة المعنى الاصلي لعدم وجود قرينة مانعة من ارادته)[4] .

وتقف **الكناية** الى جانب التشبيه والاستعارة في كونها وسيلة من وسائل تشكيل الصورة الشعرية ، وهي من الفنون البيانية التي حظيت باهتمام النقاد العرب الاوائل لما لها من مكانة في

---

1 – الديوان : ص59 .

2 – ينظر قراءات في الشعر الاندلسي ، ص127 .

3 – ينظر : جواهر البلاغة ، ص258 .

4 – المصدر نفسه ، ص316 .

القوة والتأثير وقد عرفها ابو هلال العسكري (ت395هـ) وهو ان يكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح .[1]

ولهذا الفن البياني اقسام منها :

احدهما : الكناية عن صفة وهي التي يطلب فيها الشاعر اثبات صفة من الصفات للممدوح كالكرم والغنى[2] ومنه قوله في المدح :

إذا ما قيلَ في يدهِ غمامُ فقد بخستْ وقد خُدعَ الغمامُ[3]

فقد كنى عطايا ممدوحه وكرمه (بالغمام) لكثرتها وقد جاء الشاعر بهذا اللفظ ليدل على كثرة هبات الممدوح وسمو منزلته .

وثانيهما : الكناية عن موصوف وهي التي يطلب بها نفس الموصوف وشرطها ان تكون مختصة بالمكنى عنه لا تتعداه وذلك ليحصل الانتقال ومنه ذلك قوله :

محيي الغريبين من دِينٍ ومن أدبٍ وقاتلُ القاتلين الجبنِ والبُخلِ[4]

فقد كنى عن موصوفه بـ(محي الغريبين) و (قاتل القاتلين) لان هذا الامير كان مشمراً عن ساعده في نشر الدين الاسلامي والثقافة الاسلامية كما انه كان مشجعاً للعلماء والشعراء ويجزل لهم العطاء فهو كريم يخافه البخل وشجاع يهابه الجبن .

وقد لجأ شاعرنا كثيراً الى المحسنات البيانية المختلفة التي تقوم على الاستعارات ومنها تقنية التشخيص وقد تبدى ذلك في موضعين في وصف الدهر وفي وصف المدن الاندلسية ومحاربتها ومنابرها والتشخيص في هذين الموضوعين يخدم مقاصد الشاعر ففي تشخيصه للدهر

---

1 – ينظر : كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ، ص281 .

2 – ينظر : علم اساليب البيان غازي يموت ، ص286 .

3 – الديوان : ص53 .

4 – الديوان ، ص42 .

بوصفه يشهر سيفاً للغناء يقاتل به الناس واراد ان يعمق احساس القارئ بالرهبة من الدهر[1] حيث يقول :

وينتضي كلُّ سيفٍ للفناءِ ولو كانَ ابنُ ذي يزْنٍ والغِمدُ غَمدانُ

يا غافلاً وله في الدَّهرِ موعظةٌ إنْ كنتَ في سِنَةٍ فالدهرُ يقظانُ[2]

واما الموضوع الثاني وهو وصف المدن الاندلسية ومحاريبها ومنابرها حين صور اشخاصاً يندبون الاندلس وينوحون عليها بقوله :

حتى المحاريبُ تبكي وهي جامدة حتى المنابر ترثي وهي عيدانُ[3]

وثالثهما : الكناية عن نسبة : ويراد بها اثبات امر لأمر وبها يذكر الصفة والموصوف ولا يصرح بالنسبة الموجودة مع انها هي الموجودة[4] ومن ذلك قوله :

اما المعالي فهو قطب لها والقطب لا شك عليه المدار[5]

فالكناية في قوله (قطب لها) كناية عن نسبة الاهلية لادارة شؤون البلاد وللدلالة على السمو والرفعة .

ثالثاً : الموسيقى الشعرية

تمثل الموسيقى الشعرية عنصراً مهماً من عناصر تشكيل البيت الشعري اذ انها تسهم مع الافكار والالفاظ والصور في الارتقاء باسلوب التعبير الشعري الى مرتبة عالية ويلعب الوزن دوراً فعالا في التأثير بهذه الموسيقى عن طريق الكلمات التي تثير الانتباه الى هذه الاصوات فضلا عن القافية ذات الايقاع الجميل الحسن التي تتفاعل مع بعض الفنون البديعية كالجناس والطباق .. الخ . وقد دخلت الموسيقى عاملا مهما في قوة الشعر التعبيرية ، لأن الشعر هو (كلام

---

1 – ينظر : قراءات في الشعر الاندلسي ، ص128 .
2 - الديوان ، ص58 .
3 – المصدر نفسه ، ص58 .
4 – علم اساليب البيان ، ص288 .
5 – الديوان ، ص22 .

موسيقي تنفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر بها القلوب)[1] وقد شكلت هذه الموسيقى عنصراً فعالا مال اليه الرندي وحرص على توفيره في شعره واوزانه الشعرية مطابقة لاوزان الخليل بن احمد الفراهيدي (ت175هـ) فجاءت متناسقة وذات معاني لها دلالات وتأثير واضح في نفس السامع وكان الميل الى الفنون البديعية من ابرز سمات الفن الشعري في عصره وقد تميز اسلوبه بالولع والصنعة البديعية وقد اعتمد الرندي على نوعين من الموسيقى الشعرية منها : الموسيقى الخارجية (الوزن والقافية) .

والموسيقى الداخلية : (التكرار والطباق والجناس ورد العجز على الصدر) .

الموسيقى الخارجية وتشمل (الوزن والقافية) .

- الوزن :

هو ركن اساسي في الشعر العربي وليس قالباً مفروضاً على القصيدة ، بل ان القصيدة تستمد الكثير من قوتها ودلالتها من الوزن الشعري : وقد وجدوا بأن ((الوزن اعظم اركان هذا الشعر واولاها به خصوصية))[2] ويمثل الوزن الموسيقي الخارجية للشعر خير تمثيل لانه يشكل الاطار الخارجي الذي يحافظ على نظام القصيدة .

وقد وزع شاعرنا الرندي اوزانه الشعرية على موضوعاته بنسب متفاوتة ولم يحصرها بوزن معين على موضوع بعينه ، وبذلك حقق انسجاماً رائعاً بين اوزانه . وكان الرندي يميل في اختياره الى البحور كثيرة المقاطع كالبحر الطويل والبسيط ؛ بسبب ملاءمتها لاستيعاب المواقف الجليلة والافكار المختلفة والعواطف الجياشة . وبعد قراءتنا لاشعاره وجدنا بأن البحر البسيط من اكثر البحور المستعملة في شعره ، وهو من بحور الشعر التي اولع الشعراء بها وذلك نظراً

1 – موسيقى الشعر ، د.ابراهيم انيس ، ص17 .

2 – العمدة ، لابن رشيق القيرواني ، 237/1 .

لاتساع افقه وامتداد رقعته وجمال ايقاعه . وكان اختياره لوزن البحر البسيط بتفعيلاته الثمان انما يعطي مجالاً اكبر للشاعر لتفريغ شحناته العاطفية[1] وبناءً على ذلك فضَّل الشاعر استعماله في غرض الجهاديات ورثاء المدن في قصيدته النونية المعروفة .

ومن ذلك قوله في رثاء مدن الاندلس :

فجائعُ الدهر انواعٌ منوعةٌ وللزمانِ مسراتٌ واحزانُ

وللحوادثِ سلوانٌ يهونُها وما لما حلَّ بالاسلامِ سُلوانُ[2]

فالشاعر جعل من هذا البحر (البسيط) اطاراً موسيقياً يجذب اليه الاسماع ويطرب النفوس والابيات تنم عن جرس موسيقي شديد التأثير في النفس الانسانية لعظم النصيبة التي حلت بالاندلس وضياع الاسلام في هذه البقعة التي كانت مناراً لنشر الدين الحنيف .

اما القافية :

فهي ((شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية))[3] وسميت قافية لانها تقفوا اثر كل بيت . والقافية ركن اساسي من الاركان التي يبنى عليها الشعر ، وهي تساعد على اكتمال جوانب النص الشعري من ناحية الايقاع الموسيقي . وقد جعلها النقاد القدامى نوعين القافية المقيدة هي التي يكون رويها ساكناً وهذا النوع من القوافي قليل في الشعر العربي .[4] ومن ذلك قوله في وصف القلم .

وأصفرُ كالصبِّ في رونقٍ تظنُّ به الحبَّ ممن نحلْ[5]

---

1 – ينظر : قراءات في الشعر الاندلسي ، ص131 .

2– الديوان : ص58 .

3 – ينظر : العمدة ، 261/1 .

4 – ينظر : علم القافية ، د.صفاء خلوصي ، ص8 .

5 – الديوان : ص58 .

اما القافية المطلقة : فهي التي يكون رويها ساكناً وقد شغلت الحيز الاكبر في شعر الرندي لما فيها من حرية الشاعر في اختيار الروي المناسب لفضه وقد وردت القافية المطلقة مجردة من الردف كقوله :

أفاق لما افقتُ الجودُ والادبُ وهنى المجد اذ هنيتُ والحسبُ

يا لمحةً اطلعَ العيدُ السعيد لها وجهاً مكان هلال العيد يرتقبُ[1]

وهناك نوع اخر من القافية المطلقة في شعر الرندي الا وهي القافية المردوفة وهي القافية التي تأتي بعد حرف مد او لين ، كقوله :

لكل شيء اذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش انسانُ

هي الامور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمانُ[2]

فقافية الابيات جاءت مردوفة بحرف مد (الالف) ، ولقد جاءت قوافي الرندي جميلة رشيقة عذبة تفيض بالايقاع وتطرب النفوس ؛ مما اسهم اسهاماً كبيراً في اضفاء جمالية نصية على ابياته بصورة عامة .

الموسيقى الداخلية

وتشمل (التكرار ، الطباق ، الجناس ، رد العجز على الصدر)

- **التكرار** :

عملية خلق فني يقوم بها الشاعر لرفد المعنى المطلوب بافكار واحاسيس جديدة تضفي جمالاً ورونقاً اذا صح الاستعمال في النص الادبي والتكرار موجود في الشعر العربي منذ عصر ما قبل الاسلام وحتى الوقت الحاضر ولهذا النمط البديعي اهمية كبيرة في تقوية نغم القصيدة اذ ان للتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها ، فاكثر ما يقع التكرار في الالفاظ دون

1 – المصدر نفسه ، ص14 .

2 – المصدر نفسه ، ص55 .

المعاني وهو في المعاني دون الالفاظ اقل[1] والتكرار من ظواهر البديع التي زين بها الرندي قصائده وقد سعى من خلاله الى تأكيد المعنى في اشعاره ومنه قوله :

محمدٌ محمدٌ كاسمهِ شخصٌ لهُ في كل معنى يشارُ[2]

في تكرار اسم محمد اكثر من دلالة منها عظم الدور الذي قام به هذا الملك وهو انشاء مملكة غرناطة وما يحمله من شجاعة وكرم وعدل وغيرها وقد بدأ على البيت الجرس الموسيقي العذب المتولد من خلال التكرار كما ورد التكرار في قوله ايضاً :

دهى الجزيرةَ أمرٌ لا عزاءَ له هوى له أُحد وانهدَّ ثهلانُ[3]

نلاحظ التكرار في حرف (الهاء) الذي ورد خمس مرات في صدر البيت وعجزه وقد احدث تكراره موسيقى عذبة وساعد على ايجاد نوع من الموازنة والتوافق داخل اطار النص الشعري .

- **الطباق :**

هو لون من الوان الفن الادبي الذي طرق اليه الشعراء كثيراً في اشعارهم لغرض التعبير عما يريدونه ويريدون بيانه وقد طرق اليه القرآن الكريم في كثير من اياته المباركة ومن قوله تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب)[4]

وعرفه ابو هلال العسكري بقوله (المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من اجزاء الرسالة او الخطبة او بيت من بيوت القصيدة)[5] وقد تثقف شاعرنا بهذا الفن الى حد الولع لانه يضيف الى شعره معالم جمالية رائعة فطرز به صورة ليكسبها ثراء وتنميقاً ومن روائع طباقه قوله في رثاء المدن :

---

1 – ينظر : العمدة ، 121/2 .

2 – الديوان ، ص22 .

3 – المصدر نفسه ، ص58 .

4 – سورة الزمر الاية 9 .

5 – ينظر : كتاب الصناعتين ، ص307 .

يا مَنْ لذلةِ قومٍ بعدَ عزمٍ احالَ حالَهم كفرٌ وطغيانُ[1]

وقد طابق الشاعر بين (ذل وعز) والتي اشار من خلالها الى مجد العرب والمسلمين فبعد عزهم في تلك البلاد اصبحو اذلاء في ديارهم .

- **الجناس :**

فهو من فنون البديع المهمة التي تبنى عليها الموسيقى الداخلية ويقوم عليها النظم الصوتي بشكل واضح ومؤثر ويكسب الجناس النص الشعري جمالاً وجرساً موسيقياً من خلال تتابع الالفاظ وتكرار ايقاعات حروفها والجناس ضرب من ضروب المحسنات اللفظية .

فقد عرفه السكاكي (ت626هـ) (بأنه تشابه الكلمتين في اللفظ مع اختلاف المعنى)[2]ويرى الخطيب القزويني (ت739هـ) (اللفظ المشترك الذي تكون حقيقته في أن يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً)[3] وقد غلب هذا اللون البديعي على سائر الالوان البديعية في شعر الرندي لكونه عنصراً مهما في اثراء موسيقى الشعر والجناس في القصيدة لا يقصد منه الزينة اللفظية بمقدار ما يقصد الشاعر توظيفه لخدمة المعاني التي اراد بها ابرازها وقد تركز الجناس في القصيدة عند استعراض الشاعر للام والمماليك والمملوك العظيمة ذائعة الصيت والشهرة التي افناها الزمن فقد جاء الجناس كأنه محاولة من الشاعر لابراز ما بلغته تلك المماليك من العظمة والزينة والزخرفة [4]ومن ذلك قوله :

واينَ ما شاده شداد في إرمٍ واين ما ساسه في الفرس ساسانُ؟

دار الزمانُ على دارٍ وقاتلهِ وام كسرى فما أواه إيوانُ[5]

فالعلاقة بين شاد وشداد وساسان ودار ودارا واوى وايوان ليست مجرد علاقة تجانس صوتي وانما علاقة معنوية فلا احد يستطيع ان ينكر ان شدادا شاد ارم ذات العماد وان ساسان

---

1 – الديوان ، ص59 .

2 – مفتاح العلوم السكاكي ، ص202 .

3 – ينظر : الايضاح في علوم البلاغة ، ص408 .

4 – ينظر : قراءات في الشعر الاندلسي ، ص130 .

5 – الديوان ، ص57–58 .

ساس بلاد الفرس وان الزمان قد دار وان كسرى كان يأوي الى ايوائه وقد عمق هذا التجانس المعنى الذي رمى اليه الشاعر فجاء الجناس في هذه الابيات ليس بقصد تزيين القصيدة بل لتحقيق انسجام من القول مع حالة (التمام) التي بلغتها تلك المماليك .[1]

- رد العجز على الصدر :

وهو اسلوب شعري وقيمته تكمن في تشكيل من الموسيقى الداخلية التي تحققها الالفاظ المتكررة في البيت الشعري تزيد النص رونقاً وبهاءا . ويعرف هذا الفن البديعي عند النقاد وهو ان يرد اعجاز الكلام على صدوره فيدل بعضه على بعض ويسهل استخراج قوافي الشعر اذا كان ذلك وتقتضيها الصنعة ويكسب البيت الذي يكون فيه ابهة ويكسوه رونقاً وديباجة وطلاوة .[2] وقد ورد هذا الفن البديعي في شعر الرندي بأشكاله المتنوعة ومنها :

أ- ان تتوافق كلمتان احداهما في اخر البيت والاخرى في صدره نحو قوله :

واشهبُ صورَ من عنبرٍ واين منه العنبرُ الاشهبُ[3]

اذ وافقت كلمة اشهب في صدر البيت نفسها في عجزه مما اكسب البيت الشعري رونقاً وجمالاً وجعله مفعماً بالايقاع والنغم الموسيقي .

ب-ما يوافق كلمة في اخر البيت والاخرى في حشوه ومن ذلك قوله :

قواعدُ كُنَّ اركانَ البلاد فما عسى البقاءُ اذا لم تبق اركانُ[4]

اذ جاءت كلمة (اركان) في حشو البيت وعجزه وافعمت البيت الشعري موسيقى جميلة جعلت السامع يشعر بالاسى والحزن لذهاب مدن الاندلس وسقوطها بيد الاعداء الواحدة تلو الاخرى .

ت-توافق الكلمة في اخر العجز مع الكلمة في اخر الصدر ، ومن ذلك قوله :

اذا كان امرُ الله للمرءِ طالباً فقد هانَ مطلوبٌ وعزَّ طالبُ[5]

---

1 - ينظر : قراءات في الشعر الاندلسي ، ص131 .

2 - ينظر : العمدة ، 5/2 .

3 - الديوان : ص12 .

4 - الديوان ، ص58 .

5 - المصدر نفسه ، ص18 .

فقد جاءت كلمة (طالب) في نهاية كل من الصدر والعجز مما اكتسب البيت الشعري جمالا وموسيقى عذبة اظهرت معنى البيت الشعري وعمقت دلالاته في النصح والارشاد وكذلك دل على نفس ايماني بالاذعان لمشيئة الله تعالى .

الخاتمة

بعد هذه الوقفة مع الشاعر ابي البقاء الرندي يمكننا تلخيص اهم النتائج التي توصلنا اليها في البحث ، وهي كالاتي :

1- من خلال التعرف على شخصية ابي البقاء الرندي ، وجدنا ان الشاعر يتشوق الى الاهل والوطن ولكنه لم يفصل ذكر اهله وهذا ما جعل مؤلفاته عديدة ومنها (الوافي في نظم القوافي) .
2- رأينا ان الاغراض الشعرية كان لها حضور قوي وان النصيب الاوفر كان للمدح ، اذ مثل نسبة كبيرة في شعره ولا سيما مدح بني الاحمر .

3- لقد اثبت ابو البقاء بأنه شاعر ذو مكنةٍ ودرايةٍ بما آلت اليه الاندلس ، فرثاها رثاء محبٍّ ، وبكاها مثل بكاء طفل رأى امه تفنى امام عينيه .

4- وصف عظم المصيبة التي حلت بالاندلس ، وبكاها الشاعر بصدق ووفاء ليدل على مدى حبه لوطنه .

5- وجدنا ان الشاعر رثى المدن الاندلسية بلون جديد وتخصيص الشاعر فيها ، فضلا عن انه قام بتشخيصها من خلال كثرة استعاراته وكناياته التي ابدع فيها ايما ابداع .

6- مثلت نونية الرندي المشهورة الواقع الاندلسي في اغلب تفاصيله فهي مثلت جميع الاحداث التي عاشها الاندلسيون بافراحها واحزانها .

7- توصل البحث الى ان لغة الشاعر واضحة ومعبرة تميل الى السهولة والوضوح ، وهذا ماوجدناه في معظم قصائده ، مما جعله يرتقي بشعره من خلال صدق العاطفة ووضوح الاحساس الممتزجين بجمال اللغة .

8- توصل البحث الى ان الرندي مال في معظم قصائده الى استعمال البحور الشعرية ذات المقاطع الطويلة ، كالطويل والبسيط ولاسيما في رثائه للمدن انسجاماً مع مرارة الحدث وعظم المصاب الذي تطلب من الشاعر الاتيان بمثل هذه البحور التي تتلاءم بشكل كبير مع انفاس الشاعر وحالته النفسية آنذاك .

والحمد لله رب العالمين ..

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم .

1- ابو البقاء الرندي (شاعر رثاء الاندلس) ، الدكتور محمد رضوان الداية ، ط2 ، بيروت ، 1396هـ-1967م .

2- الاحاطة في اخبار غرناطة ، تأليف ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الشهير بلسان الدين بن الخطيب ، (ت776هـ) تحقيق محمد عبد الله عنان ، ط1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1975م .

3- اندلسيات ، الدكتور عبد الرحمن علي الحجي ، ط1 ، دار الارشاد ، 1398هـ-1996 .

4- الايضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ، للخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت739هـ) ، شرح وتحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، ط1 ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1426هـ-2006م .
5- تاريخ الادب العربي ، تأليف عمر فروخ ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1983م .
6- التجديد في الادب الاندلسي ، الدكتور باقر سماكة ، ط1 ، مطبعة الايمان ، 1971م .
7- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، السيد احمد الهاشمي ، ط2 ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1379هـ- 1960م .
8- الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية ، الامير شكيب ارسلان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د.ت) .
9- الحيوان ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط3 ، المجمع العربي الاسلامي ،1996م .
10- ديوان ابو البقاء الرندي الاندلسي ، تحقيق رفعت برهام حسن ، ط1 ، القاهرة ، (د.ت) .
11- الروض المعطار في خبر الاقطار (صفة جزيرة الاندلس) ، للحميري تحقيق ليفي بروفنسال ، مصر د.ت .
12- شعراء العرب (المغرب والاندلس) يوسف عطا الطريقي ، ط1 ، الاهلية للنشر والتوزيع المملكة الاردنية ، عمان 2007م .
13- علم اساليب البيان ، الدكتور غازي يموت ، ط1 ، دار الاصالة للطباعة ، بيروت ، 1986م .
14- علم القوافي ، الدكتور صفاء خلوصي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1963م .
15- العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده ، تأليف ابي علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي (ت456هـ) ، شرح وفهرست د.صلاح الدين الهواري ، هدى عودة ، ط1 ، دار مكتبة الهلال ، القاهرة ، 1996م .
16- في الادب الاندلسي ، د.محمد رضوان الداية ، ط1 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، 1421هـ - 2000م .
17- قراءات في الشعر الاندلسي ، الدكتور صلاح جرار ، ط2 ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، 1430هـ - 2009م .

18- قصيدة الغزل في عصر الموحدين ، دراسة فنية ، الدكتورة ايمان الجمل ، ط1 ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ، الاسكندرية ، 2009م .

19- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (المتوفى بعد 395هـ) تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، ط1 دار احياء الكتب العربية ، القاهرة 1952م .

20- لسان العرب العلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري (ت711هـ) ، دار صادر ، بيروت ، 2005م .

21- لغة الشعر بين جيلين ، ابراهيم السامرائي ، ط2 ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1980م .

22- معجم البلدان ، تأليف شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت الحموي ، (ت626هـ) ، بيروت، 1957م .

23- المغرب في حلى المغرب ، ابن سعيد ، تحقيق د. شوقي طيف ، ط4 ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت .

24- مفتاح العلوم لابي يعقوب يوسف بن ابي بكر بن محمد بن علي السكاكي (626هـ) تحقيق اكرم عثمان يوسف ، ط1 ، دار الرسالة ، بغداد ، 1402هـ- 1982م.

25- موسوعة شعراء العصر الاندلسي ، الاستاذ محمد العريس ، دار اليوسف للطباعة والنشر ، بيروت ، 2005م .

26- موسيقى الشعر ، د. ابراهيم انيس ، ط3 ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1965م .

27- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، احمد بن محمد المقري التلمساني (ت141هـ) تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1388هـ-1968م .